جمالية الفن البصرى فى عصر ما بعد الحداثة

ينشأ الخداع البصرى نتيجة التنظيم المحكم للأشكال والألوان أو الصور، فهو العملية التى يتم من خلالها رؤية الأشياء بطريقة إيهامية غير حقيقية ومغايرة لماهيتها الأصلية. وقد تناول العديد من السيكولوجيين دراسة الخداع البصرى لما له من أهمية واستخدامات عديدة فى مجالات مختلفة، كالتصوير الفوتوغرافى، الدعاية والإعلان، التصميم الجرافيكى، تصميم الأزياء والمنسوجات، وأيضاً الفن التشكيلى.

حيث شاع فى الستينيات من القرن العشرين اتجاه فنى أطلق عليه مسمى الفن البصرى أو فن الخداع البصرى "optical art" أو اختصاراً "op art"، حيث اعتمد بشكل خاص على نظم وأساليب الخداع البصرى وقوانين الإدراك البصرى التى صاغتها نظرية الجشطالت، ذلك من أجل الإيهام بالعمق والحركة للأشكال الثابتة، فالحركة البصرية هى جوهر الفن البصرى فهو الفن الذى يهدف إلى خلق الخداع بالحركة رغم استاتيكية الأشكال ذاتها عن طريق تنظيم الأشكال بطريقة واعية بعمليات الإبصار وكيفية التأثير عليها وذلك إما بالإيحاء بالعمق أو بالمسافة باستخدام الضوء والظل على الأسطح ذات التكوينات المعقدة وهى الأساليب التى اتبعها فنانى ذلك الاتجاه كالفنان جوزيف ألبرز وفيكتور فازاريلى.

ومع نهاية الحداثة ونشأة ما بعد الحداثة فى السبعينيات، ظهرت اتجاهات فنية جديدة بتصنيفات جديدة اجتمعت فيها الفنون لتأكيد القيمة التعبيرية المواكبه لثقافة المجتمع فى ذلك الوقت، ومنها اتجاه الفن المفاهيمى، فن الأداء، فن التجهيزات، فن الأرض وغيرها. وقد اتسمت تلك الاتجاهات بأبعاد جمالية وتقنية مغايرة لفترة الحداثة، حيث أصبح الفن مجالاً للتأمل العقلانى النقدى، وتخلص الفنان من عقدة التصارع مع التقاليد، فلم يستبعد الثقافات المختلفة وجماليات الفنون السابقة، ومن ثم اتسمت الأعمال الفنية بالتعددية والتنوع وتقبل الإختلاف والمعانى المتضادة.

تلك الأفكار التى دعت مجموعة من الفنانين المعاصرين كالفنان بيتر كوجلر Peter Kogler والفنان الكورى كيم يونغ كوان Kim Yong-Kwon إلى استخدام نظم فن الخداع البصرى فى تشييد تجهيزات فراغية ضخمة، يكسو أبعادها المختلفة تنظيمات هندسية بالغة الدقة توحى بالخدع البصرية، وذلك باستخدام وسائط تعبيرية مختلفة كالصور المطبوعة، والفيديو والرسوم والصور المتحركة والتقنيات الرقمية وفقاً لثقافة العصر التكنولوجية التى أضفت بعداً جمالياً مختلفاً عن أعمال الفن البصرى الحداثية.

ومن ثم يتجه هذا البحث إلى الكشف عن جماليات فن الخداع البصرى فى عصر ما بعد الحداثة وتميزها عن فترة الحداثة الفنية، مما يساهم فى إيجاد مدخل جديد لتناول الفن البصرى خاصة أو الفنون الحداثية وفنون الحضارات والثقافات المختلفة عامة، بمفاهيم معاصرة تتواكب مع فكر وثقافة العصر الحالى.

ويمكن تحديد مشكلة البحث فى التساؤل الآتى:

- ما هى جمالية الفن البصرى فى عصر ما بعد الحداثة؟

فرض البحث:

- يتميز الفن البصرى فى عصر ما بعد الحداثة بجمالية مغايرة عن فترة الحداثة الفنية، تتفق مع فلسفة فنون ما بعد الحداثة.

هدف البحث:

١- الكشف عن جمالية الفن البصرى فى عصر ما بعد الحداثة.

٢- التمييز بين جمالية الفن البصرى فى عصر الحداثة وما بعد الحداثة.

أهمية البحث:

١- تقديم رؤية مستحدثة تدفع الباحثين والفنانين إلى إعادة النظر فى فنون الحداثة وما سبقها من تراث فنى، ومن ثم تناوله وفقا للثقافة المعاصرة.

٢- يهتم البحث بدراسة جماليات الفن البصرى فى ضوء جماليات فنون ما بعد الحداثة، مما يفيد دارسى مجال النقد والتذوق وتاريخ الفن.

حدود البحث:

- يقتصر البحث على دراسة جمالية الفن البصرى فى عصر ما بعد الحداثة من خلال مختارات من أعمال الفنانين المعاصرين فى مجال فن "التجهيز فى الفراغ".

نتائج البحث:

١- الخداع البصرى هو عملية يتم من خلالها التأثير على النظام البصرى والمعرفى للإنسان من خلال إيهامه بأشياء تبدو غير حقيقية، فيخيل له أن الخطوط الاستاتيكية تتحرك وتدور عن طريق تنظمها بطرق رياضية مدروسه وفقا لقواعد محددة.

٢- الفن البصرى هو أحد الاتجاهات الفنية الحديثة التى ظهرت فى الخمسينيات من القرن العشرين، ثم أصبحت أكثر شيوعا فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا فى الستينات والسبعينات، ويعتمد أسلوب الفن البصرى على الطابع الهندسى الغير تمثيلى من خلال توظيف أنماط مجردة من خطوط وأشكال ومساحات تؤلف تراكيب هندسية تربطها علاقات رياضية توهم المتلقى برؤية اهتزازات حركية وومضات بصرية.

٣- من أهم رواد الفن البصرى فى الحداثة الفنان **فيكتور فازاريللي** الذى اتسمت اعماله بالحركة اللانهائية والمتناقصة في حجوم الاشكال والعناصر تارة وتزايدها تارة أخرى وهو ما ميز اعماله بالاستمرارية والنمائية. أيضا **جوزيف البرز** الذى تناول دراسة الإمكانيات التشكيلية للخطوط لإحداث أبعاد داخل الفراغات، كما تناول دراسة الالوان وعلاقتها بالخداع البصري.

٤- تأثر مجموعة من الفنانين المعاصرين فى أعمالهم التجهيزية بخصائص فن الخداع البصرى بمنطلق جمالى جديد يتفق مع مبادئ فنون ما بعد الحداثة كالفنان الفنان النمساوى بيتر كوجلر Peter Kogler والفنان الكروى كيم يونغ كوان Kim Yong-Kwan.

٥- تتكون أعمال التجهيز القائمة على الفن البصرى من بيئات تعتمد على الضوء والحركة ولا يمكن إعادة إنتاجها، فهى تتسم بالزوال ويتم توثيقها بواسطة الصور الفوتوغرافية.

٦- نفذت أعمال الفن البصرى فى ما بعد الحداثة بتقنيات وخامات متنوعة منها الطباعة بالشاشة الحريرية ، إضافة إلى الرسم، التحريك بواسطة الكمبيوتر Animation بما يتناسب مع المستحدثات التكنولوجية فى القرن الحادى والعشرين، ذلك مع الجمع بين التصوير والرسم والنحت والموسيقى تبعا للفكر الما بعد حداثى. حيث أُدخلت تقنيات شكل من أشكال الفن في تقنيات شكل فني آخر، وابتكرت بذلك تركيبات تستجيب إلي حاجات الجمهور الذي أصبح يرى أن هناك إمكانيات لوجود خيارات أخرى غير المتاح أو المعروض. كما إتصفت أعمال الفن البصرى Op Art فى ما بعد الحداثة بمزيد من العقلانية العلمية.

٧- تميز التنظيم البصرى للشبكيات الهندسية فى ما بعد الحداثة بالجاذبية والتعقيد من الوجهة الجمالية وبالتالى جذب انتباه المتذوق والاستحواذ على اهتمامه لزمن أطول، ومن جماليات الفن البصرى فى ما بعد الحداثة الجمع بين الألفة والغرابة، تحقيق المتعة الجمالية والاندهاش، إضافة إلى توسيع أفاق رؤية المتذوق لأعمال الفن البصرى حتى أصبحت عملية التذوق أكثر إيجابية وفاعلية من جانب المتلقى.

توصيات البحث:

١- إجراء المزيد من البحوث الخاصة باستلهام خصائص فن الخداع البصرى فى اتجاهات أخرى من فنون مابعد الحداثة.

٢- إلقاء الضوء على جماليات فن الخداع البصرى فى مجالات فنية متنوعة كمجالات الدعاية والإعلان، الديكور والتصميم الداخلى والأزياء وغيرها.

٣- تقديم دراسات تتناول تحليل فنون الحضارات والاتجاهات الفنية المختلفة فى ضوء النظريات النقدية المعاصرة.

٤- توجيه الباحثين والفنانين إلى دراسة الإمكانات المستحدثة التى تساهم فى (دمج العلوم والفنون) من أجل التأكيد على أصالة العلاقة بين الفن والعلم، واستثمار التقدم العلمى والتكنولوجى المميز للعصر فنياً.

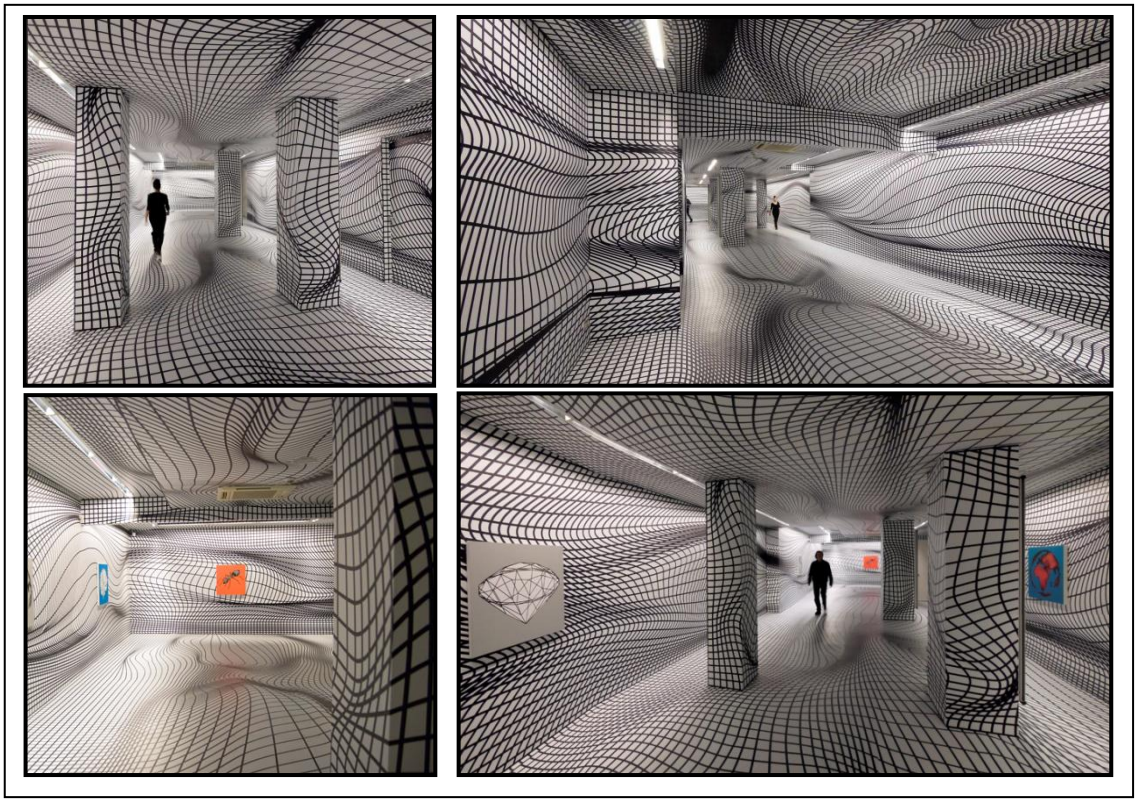

بيتر كوجلر، تجهيز فى الفراغ فى جاليرى ديريمارت DIRIMART Gallery، اسطنبول، ٢٠١١

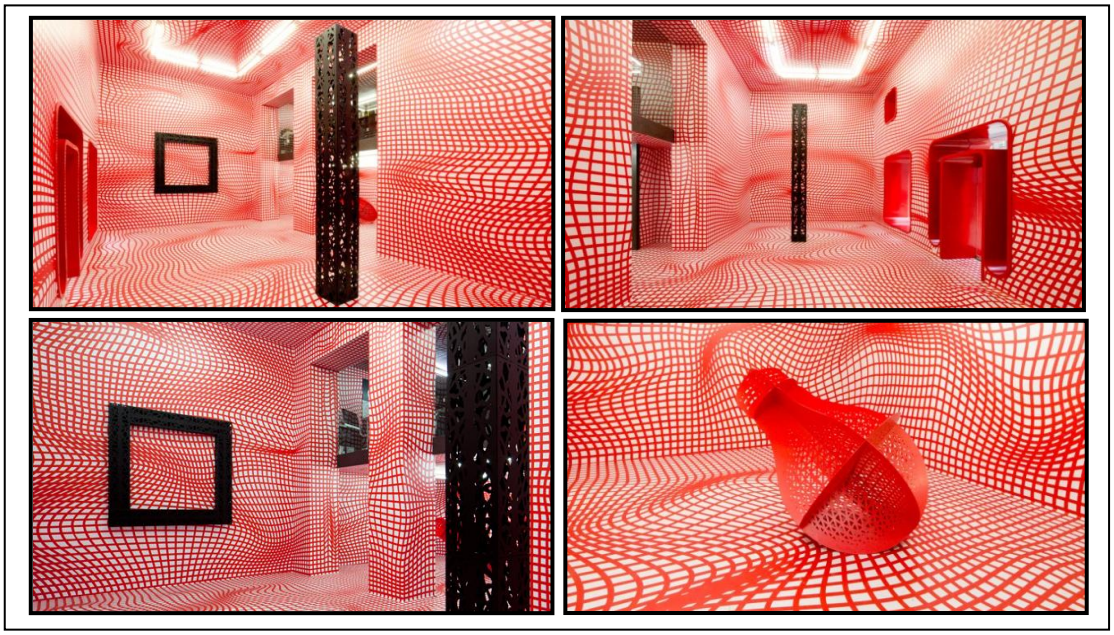

بيتر كوجلر، تجهيز فى الفراغ بجاليرى يوهان ويداوير Galerie Johann Widauer، إنسبروك، ٢٠١١

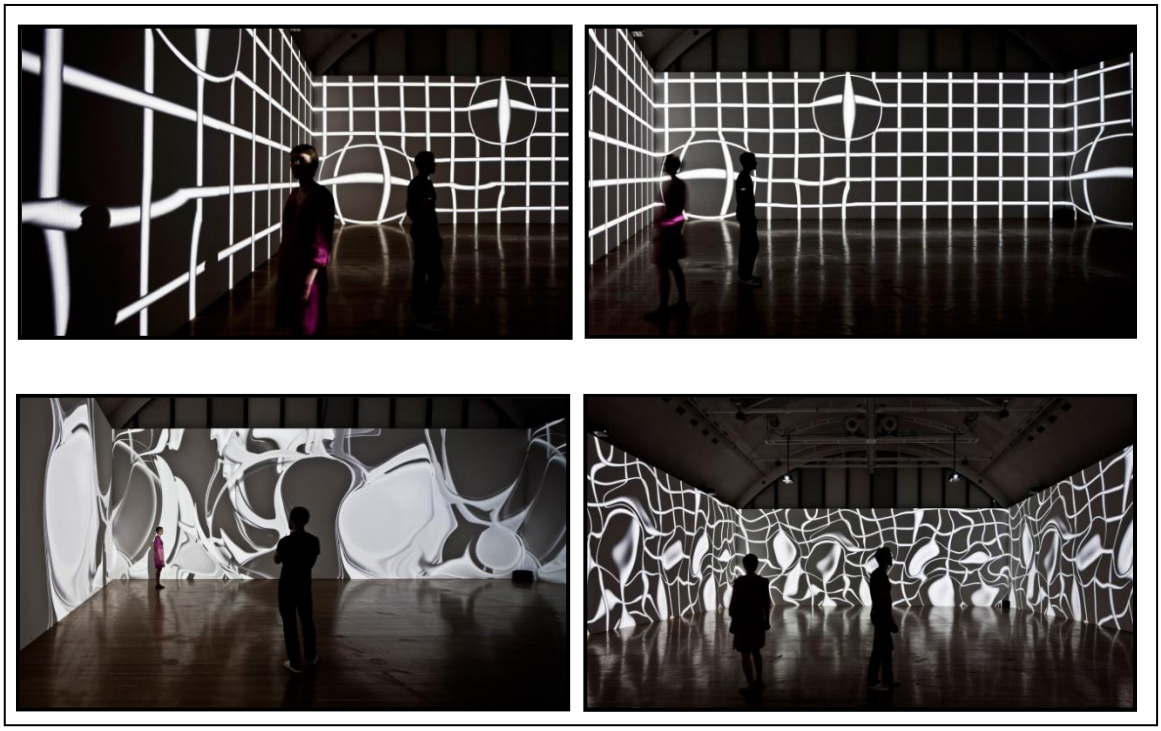

بيتر كوجلر، تجهيز فى الفراغ فى شيرن كونستال Schirn Kunsthalle ، بفرانكفورت، ٢٠١٠

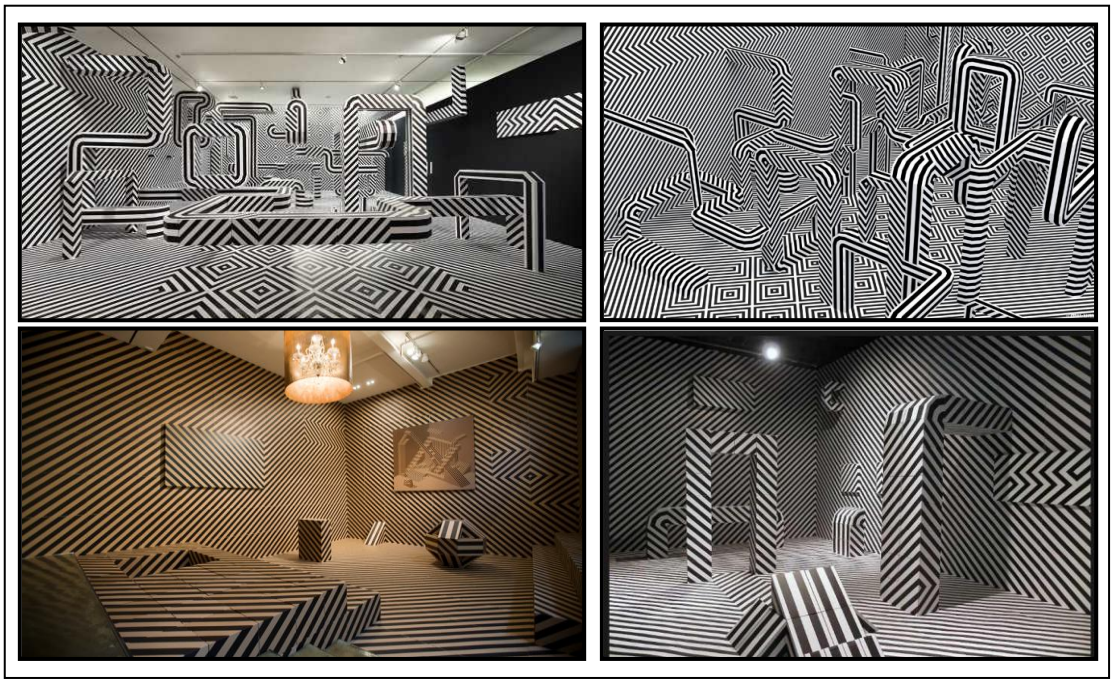

تجهيزات فراغية قائمة على توظيف الفن البصرى، للفنان كيم يونغ كوان، ٢٠١٢